ورثاه المرتضى فقال: [من المتقارب]

وقد خطفَ الموتُ كلَّ الرجالِ ... ومثلُكَ من بيننا ما خَطَفْ
وما كنتَ إلَّا أبِيَّ الجوارِ[1] ... على الضيمِ محتمياً بالأَنَفْ[2]
خليًّا من العارِ صِفْرَ الإزارِ ... مدى الدهرِ مِنْ دنَسٍ أو نَطَفْ[3]

أبو طاهر

ابن دِمْنة، صاحب آمِد، قد ذكرنا مبدأَ حالِه، وقتلَه لابنِ مروان صاحبِ ميَّافارقين، وقتْلَه لعبدالبر شيخِ أمِد، واستيلاءَه عليها، وأقام من سنة سبع وثمانين وثلاث مئة إلى هذه السنة ثمانياً وعشرين سنة، وكان يصانع ممهِّد الدولة بن مروان وشروة، فلمَّا قتلَ شروةُ ممهِّدَ الدولة وولي أخوه أبو منصور بعثَ إليه قائداً يُقال له: مريخ ـ من قوَّاد ابن دِمْنة ـ بهدايا، فاتَّفقَ مع أبي منصور على قتْلِه، فقتَلَه، وقد ذكرناه، وقَتَلَ فرَّاشٌ لابن دِمْنة مريخا. وجاء ابن مروان إلى آمِد، وأغلق أولادُ مريخ في وجهه الباب، حتى سلَّم إليهم الفرَّاش فقتلوه، ودخل آمِد واستولى عليها، فكان يقيم بها ستة أشهر، وميَّافارقين ستة أشهر.

السنة السادسة عشرة وأربع مئة

فيها في السنة الماضية كان صاحبُ مصر قد سيَّر إلى محمود بن سُبُكْتِكين خِلَعَ السَّلطنة، فبعث بها محمود إلى القادر، وتبرَّأ من صاحب مصر، فجمع القُضاةَ والأشرافَ والجندَ وغيرَهم، وأخرج الخِلَعَ إلى باب النُّوبي، وكانت سبعَ جِبابٍ وفَرَجيَّةً ومركبَ ذهبٍ، وأُضرِمَتِ النارُ، وأُلقيتِ الثيابُ فيها، وسُبِكَ المركبُ، فظهرَ منه أربعون ألف دينار وخمسَ مئة. وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد والمقدار، فتصدَّق بها على ضعفاء بني هاشم، وعاب الناسُ ذلك.

وفيها استولى العيَّارون ببغداد على الجانبين، وخصوصاً أهل الكَرْخ، فكبسوا الدُّور والخاناتِ، ونهبوا الأموال، وكانوا يكبِسون الدُّور بالليل بالشمع والمشاعل، وخرج

(١) في المنتظم: الجنان.
(٢) الأنَف: العزة والحمية.
(٣) النَّطَف: العيب والفساد.

أصحابُ الشُّرَط من البلد، وعجزَ مُشرِّف الدولة والجندُ عنهم، وأحرقوا دور الأكابر، أحرق أهلُ بابِ البصرة دارَ الشريف المرتضى ـ التي على الصَّراة ـ وغيرَها، وتفاقم الأمرُ، وعاد العلويُّون إلى أقبح أحوالهم، وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب كما يفعل المُصادرون، ويستغيثون فلا يجدون مُغيثاً، وقُتِلَ كثيرٌ من أصحاب الشُّرطة.

وكانت هذه الفتنُ قائمةً من رجب هذه السنة إلى آخر سنة ست عشرة وأربع مئة، وكان مُشرِّف الدولة قد توفِّي في ربيع الأول، فوقع الطمعُ، وخرِبَتْ بغداد، وسافر عنها التجار والأعيان.

ولم يحجَّ في هذه السنة من خراسان ولا من العراق أحدٌ. وقيل: إنَّ الحجَّ بطَلَ من هذه السنة إلى سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، التي وَلِيَ القائمُ بأمر الله فيها[١].

وفيها تُوفِّي

سابور بن أرْدَشير[٢]

وَزَرَ لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووَزَرَ لمشرِّف الدولة، وكان عفيفاً عن الأموال والحريم، كثيرَ الحلم، سليمَ الباطن، وكان إذا سمع صوتَ الأذان تركَ ما هو فيه من الأشغال وقام إلى الصلاة، ولا يلوي على شيء حتى يفرغ من صلاتِه، وكان كثيرَ العزل والولاية من شفقته على المسلمين، ولَّى بعضَ العمَّال عُكْبَرا، فقال له العامل: أيُّها الوزير أكتري للسُّمَّاوية[٣] مُصعِداً ومنحدراً أم مُصعِداً؟ فتبسَّم وقال: مُصعِداً آمناً.

قد ذكرنا أنَّه بنى بالكَرْخ داراً سمَّاها دار العلم في سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، ونَقَلَ إليها عشرةَ آلاف مجلدة، ووقفَ عليها الأوقاف، فبقيت سبعين سنة، فلمَّا دخل طُغْرُلْبَك بغداد سنة أربع مئة وخمسين وقعتِ الفتنُ فأُحرِقَت.

وكانت وفاتُه ببغداد وقد قارب سبعين سنة.

---

(١) تنظر هذه الأخبار في المنتظم ١٥/ ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) المنتظم ١٥/ ١٧٢.

(٣) السمارية: ضرب من السفن.

محمد بن الحسن بن صالحان[١]

أبو منصور، وزَرَ لمشرِّف الدولة أبي الفوارس بن عضد الدولة، ثمَّ لأخيه بهاء الدولة، كان فاضلاً، مُحِبًّا لأهل العلم والخير، ويحضر مجلِسَه العلماءُ والشعراءُ، ويَرُبُّهم[٢] ويَصِلُهم، تُوفِّي ببغداد في رمضان عن ستٍّ وسبعين سنة.

مُشَرِّف الدولة[٣]

أبو علي بن بهاء الدولة.

وقد ذكرنا محاربتَه لأخيه سلطان الدولة، وخروجَه إلى واسط، وعودَه إلى بغداد، ولقاءَ القادرِ له، فلمَّا كان في ربيع الأول مرض مرضاً حادًّا، فتوفِّي عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً، وكانت مدَّةُ إمارته خمس سنين وشهراً وخمسةً وعشرين يوماً.

ولمَّا مات نُهِبتِ الخزائنُ، ووليَ جلالُ الدولة أبو طاهر، وخُطِبَ له على المنابر وهو بالبصرة، فتوقَّف إصعادُه إلى بغداد؛ لقلة المال، فمال الجندُ إلى تولية أبي كاليجار، وكان وليَ عهد أبيه سلطانِ الدولة، وقد استخلَفَه عليهم، وله الأهواز وأَرَّجان وفارس، فامتنع القادر من إجابتهم، فاجتمعوا يوماً ثانياً، فخافَ منهم، فأرسلَ إليهم: افعلوا ما رأيتُم. فخطب له يوم الجمعة سادس عشر شوال، وبلغ جلالَ الدولة، فانحدر من واسط إلى البصرة.

السنة السابعة عشرة وأربع مئة

فيها في سابع المُحرَّم كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين الملك أبي كاليجار والملك أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس، وعاد أبو كاليجار إلى شيراز، وكان العيَّارون قد

(١) المنتظم ١٥/ ١٧٣. وتحرف اسم صالحان في (ف) إلى: صولجان.

(٢) في (ف): يبرُهم. ومعنى يَرُبُّهم أي: يتولَّاهم ويتعهَّدهم بالغذاء والتأديب. المعجم الوسيط (ربب).

(٣) تنظر مصادر الترجمة في السير ١٧/ ٤٠٨.